التصورات المتأثرة بالوثنيات والديانات المنحرفة

إن المتتبع للأدب العربي المعاصر والدارس لمذاهبه ومدارسه وتوجيهاته ، يكشف أن العنوان الموضوع لهذا الفصل يقارب الحقيقة ولا يلج إلى عمقها .

حيث إن الحقيقة في هذا القضية أن الأدب العربي المعاصر ، وأعنى به الحداثة على وجه الخصوص لا تتوقف علاقته بالوثنيات والديانات المحرفة على مجرد التأثر بها، بل تجاوز ذلك إلى حد أصبحت معه هذه الوثنيات والديانات المحرفة جزءًا من النظام المعرفي ، والأساس الثقافي والفكري للحداثة ، وما الألفاظ الوثنية والنصرانية واليهودية إلا نضحة من بئر عميقة استقى منها الحداثيون وتضلعوا .

ومما يؤكد هذا الأمر ما يلي :

١ - أن الحداثة نبته غربية .

٢ - إن أساتذة الحداثة من الغربيين رغم دعوتهم للتحرر من القديم إلا أنهم لم يتحرروا مطلقاً من سلطان الفلسفات اليونانية القديمة .

٣- تعج كتابات هؤلاء الأساتذة الغربيين بالمعاني والمصطلحات والألفاظ ذات الدلالات والجذور اليونانية أو النصرانية أو اليهودية وقد أخذ ذلك عنهم تلامذتهم من حداثيي العرب وحاكوهم وقلدوهم .

٤- الحداثة الغربية حلقة من التسلسل الانحرافي الذي اعتنقه الغرب بدءاً من فلسفات الإغريق وانتهاء بالنصرانية واليهودية المحرفتين وصولاً إلى الحداثة بمدارسها الإلحادية والشكية واللا أدرية ، والوجودية والسلوكيات البهيمية التي انحط إليها الإنسان الغربي إلا من شاء الله

وقليل ما هم .

٥- إن طبيعة الفلسفات والأفكار اليونانية القائمة على أوثان مؤلهة وأرباب معبودة من دون الله وما توالدت من هذه الطبيعة من فلسفات أخرى تدور على محور الإلحادية ، كل هذه قادت ـ وطبيعي أن تقود ـ على الحداثة بمدارسها الفكرية والأدبية المختلفة .

٦- إن طبيعة الدين النصراني بعد أن حرفه أهله ، وكذبوا فيه ومن خلاله على الله ـ جل وعلا ـ أتاحت للنصارى الغربيين بما فيهم الحداثيين ، أن يمتطوا الدين لتحقيق مآربهم والوصول إلى أغراضهم ، ولو كانت هذه المآرب والأغراض تعارض الدين بالكلية أو تناقضه ، فإن لديهم من فوضوية الكذب في الدين ، والاختلاف فيه ما يبرر لهم استخدامه على أي نحو يريدون .

٧- وقبل هذا كله لابد من النظر في طبيعة الصراع بين الحق والباطل والإيمان والكفر والهوى والضلال ، فإن الحق قوته في ذاته وبراهينه وأدلته ، أما الباطل فإنه لابد أن يؤلب أجناده وإن اختلفت مللهم وعقائدهم واتجاهاتهم ، ولا بد أن يبحث له عن جذور تسند جذعه الخاوي ، ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ {الأنفال:٧٣} .

وهذا ما حدث فعلاً في قضية الحداثة ، فإنها لهشاشتها وتداعى بنيانها تبحث لها عن جذور تقويها وأركان تشد من أزرها ، ولو كانت هذه الجذور متباينة مختلفة متناقضة متشاكسة ، فها هي تأخذ من وثنيات اليونان والبابليين والفراعنة والهنادكة والبوذيين ، والجاهليين العرب ، وتنبض بنبض اليهودية والنصرانية، وتستند إلى المرتدين والزنادقة والباطنيين .

وهؤلاء جميعًا على تفرق عقائدهم وتباينها واختلافها يجتمعون في نسق الحداثة ليكونوا أصدق مثال على أن الكفر ملة واحدة في مقابل ملة الإسلام ، وبإزاء كل هذا نجد أن رقاب بعض أبناء المسلمين العرب انحنت أمام الفكر الغربي الحديث تحتشي منه في جوفها وتلعق من حمأته ، وتشرب من مائه الآسن شرب الهيم ، فكان من قيئها على الصحف وفي الكتب وفي المنتديات وفي وسائل الإعلام ما نسمعه من دعوات علمانية وحداثة وغيرهما من المذاهب الشائنة الشائهة .

وتأثرُ الحداثيين العرب بتلك العقائد الوثنية من أوضح وأجلى المضامين الحداثية ، في الشعر والدراسة والنقد والرواية .

وتتبع الشواهد لذلك تفصيلاً مما يعسر ويصعب ، ولكن يمكن القول أنه لا يخلو حداثي من التأثر بهذه العقائد الباطلة ، إما في مجمل اتجاهه وفلسفته ، وإما في جزيئات عباراته ورموزه .

والحداثيون العرب ينقسمون إلى ثلاثة أقسام من حيث الأصل والمنبت والانتساب :

القسم الأول : حداثيون نصارى ، ولهم صولة وجولة وتأثير قوي وواضح في استيراد الحداثة وتسويقها ، وأكثرهم من رواد هذا الاتجاه، ومن زعمائه والداعين إليه :

وهؤلاء لا تجد انتسابهم إلى العرب إلا انتساب اللسان واللغة والعرق ، بل كان بعضهم لا يعرف العربية كما اعترف يوسف الخال ، حيث عاد إلى لبنان ليتعلم العربية ، وبعد سنة أعلن تأسيس مجلة" شعر " وحركة التجديد في الشعر العربي .

وأحد النقاد يقرر بالشواهد أن جبران خليل جبران يعادي اللغة العربية ، وهدم اللغة العربية أكبر انجاز جبران باعتراف أصدقائه ، وكان أنسي الحاج ،

وميخائيل نعيمة على هذا النحو.

وقد كان النصارى العرب ـ طلائع العدو في المعركة الجديدة معركة العقيدة والثقافة بدلاً من معركة السيف والرصاص .. وكان بابهم إلى البلاد العربية إخوانهم في الدين من نصارى الشام ومصر ، فمن خلالهم تسللت المفاهيم المناقضة لدين الإسلام مثل القومية والعلمانية والحداثية وغيرها ، لقد تواطئوا مع نصارى الغرب في تمزيق القوى المعنوية والفكرية والمادية للمسلمين .

وإذا تأملنا قائمة أدباء الحداثة فإننا نجد أسماءً كبيرة في عالم الحداثة كان لها الدور الكبير في نشر هذا المبدأ والدعاية له .. حتى غدا الملتمس للنشر والمكانة الإعلامية يبحث عن رضا العصابات النصرانية التي بسطت نفوذها من المقطم والأهرام والهلال لجورجي زيدان والجريدة المصرية ، والمقتطف والشرق والرابطة التي أسسها خريجو الكلية العلمانية في بيروت سنة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢م .

وإذا تأملنا سدنة الحداثة وأزلامها لنرى الأسماء النصرانية ، فإننا نجد أسماءً شهيرة مثل يوسف الخال وجبر إبراهيم جبر ، وأنسي الحاج ، وغالي شكري ، ولويس عوض ، وخليل حاوي ، وتوفيق صائغ ، وأنطوان سعادة ، وجبران أحد كبار مؤسسي هذا الاتجاه ، ولذلك اعتمده أدونيس واعتبره في الثابت المتحول أحد أبرز مؤسسي الحداثة العربية ، ولميخائيل نعيمة دوره الكبير .

أما أمين الريحاني النصراني اللبناني فقد تجاوزت عمالته حدود الأدب والثقافة إلى التجسس والعمالة السياسية كما قال عنه جهاد فاضل في مجلة "الحوادث " إنه كان عميلاً للأمريكان .

وقد كان من رواد أدب المهجر نعيمة وجبران اللذان أسسا جماعة " الرابطة القلمية " التي تبنت بقوة منظمة محاربة القديم ، حيث قامت على أساسين

فكريين اعتقاديين هما النصرانية ، والثقافات الأجنبية من آداب الغرب وفلسفاته . بل قال مجموعة من الباحثين في تاريخ الأدب وأصوله إن " جبران وزملاءه من كتاب الرابطة القلمية كانوا الرسل الأمناء الحقيقيين الذين راحوا يبشرون بالمبادئ المسيحية الحقة ".

وقد بعث أصحاب الرابطة القلمية لمؤتمر الصلح الدولي بعد نهاية الحرب العالمية الأولى برسالة ارتماء جاء فيها : " إن السوريين ليسوا بعرب ، وإن اللغة العربية التي يتكلمون بها اضطرهم الفاتحون إلى استعمالها بدلاً من اللغتين الآرامية الوطنية واليونانية اللتين كانتا اللسان الشائع في البلاد السورية " .

وقد وقع على هذه المذكرة الخائنة الكاذبة : جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وغيرهما من أعضاء الرابطة .

فالريحان كما سلف راسخاً في الخيانة والعمالة ، وأما ميخائيل نعيمة فقد درس في روسيا وتشبع بالأدب الروسي إضافة إلى نصرانيته واعتقاد البوذية والهندوكية وماسونيته .

وأما جبران فقد كان نصرانياً ، شهوانياً داعراً ، اتخذ " نيتشه " إماماً له فوافقه في جنونه وإلحاده ، وكان جبران ينسب عند أصحابه إلى الجنون ، وينسب عند " أدونيس " إلى الريادة في الحداثة ونفض الدين ومحاربة الربوبية والألوهية والنبوات والوحي كما سيأتي .

أما عبد المسيح حداد وهو أحد مؤسسي الرابطة القلمية فقد كان يرى أن الأدب العربي الوجه الثاني للإسلام فوقفوا منه ومن اللغة العربية المواقف المعروفة .

فيتضح بهذا أن مآرب القوم ليس التجديد في الأدب والشعر بقدر ما هو هجوم على التراث النابع من أصول واعتقادات هؤلاء وتلامذتهم .

القسم الثاني : حداثيون طائفيون ، وهؤلاء لهم في الحداثة قدم راسخ وشأن كبير ، وخطر عظيم .

وهؤلاء تزعموا هذا المبدأ ، وسعوا في نشره والدعاية له ، فتأريخ المسلمين يشهد على أن طوائف المبتدعة وخاصة الباطنية ، وأهل الرفض والتشيع كانوا في حالات كثيرة في صف العدو وطائفته ، بالعلن كلما أمكنهم ذلك ، وبالسر وهو غالب حالهم .

ومن يراجع تاريخ الحركات الباطنية والرافضية يجد الشواهد الكثيرة على هذا فقد كانوا في صف الكفار التتار في أواخر الدولة العباسية ، وكان الوزير الرافضي ابن العلقمي عيناً للتتار داخل بغداد ، ومعيناً لهم على دخولها وسلبها وتدبيرها وقتل الخليفة العباسي سنة (٦٥٦هـ).

وكانت حروبهم على المسلمين ومناقضتهم لملة الإسلام مستمرة باللسان والقلم والسنان والتجسس وغير ذلك .

وقد وضع عبد الله بن سبأ اليهودي بذور الشر والفتنة ، بدأ ينشر ضلاله بين المسلمين في السر حتى ألّب الناس على قتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه سنة (٣٥هـ) فوقع السيف في أمة الإسلام ، وكانت إرهاصات لحروب ومشكلات هزت الأمة الإسلامية وما تزال .

واستغل ابن سبأ هذا الجو المضطرب ، وعمل على إشعالها ، وظهر في أثنائها فرق الضلال كالخوارج ، والشيعة الذين وضع أساس بنائهم ابن سبأ اليهودي مستغلاً تعاطف الناس مع أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وحبهم له ولآل البيت ، وزاعماً أن علياً أوصى له الرسول ـ ﷺ ـ بالخلافة ونشر ذلك بين الناس ، فكانت بداية بدعة الوصي والوصاية التي بنى عليها الشيعة أكثر أباطيلهم ، ثم غالى حتى زعم أن علياً كان نبياً يوحى إليه ، ثم غلا حتى ادعى له الألوهية

من دون الله عز وجل .

وقد وضع ابن سبأ بذور شره وظهرت الطائفة السبئية التي بنت لها أصولاً تصادم منهج الإسلام فظهرت فرقة النصيرية الباطنية والإسماعيلية والرافضية كل بفلسفاته ، وبهذا اندثر سلطان الأمة ، وبرزت رؤوس هؤلاء لتعتلي منابر الفكر والأدب والثقافة والصحافة بتأييد من أشياعهم الأوروبيين، الذين وجدوا في الطائفيين بغيتهم لما في عقائدهم من ضلال ، وأحقاد على المسلمين فقربوهم وصنعوهم ، وجعلوهم وسيلتهم الثانية في الغزو الفكري والاعتقادي والسلوكي .

وكانت إحدى أبرز اللافتات التي ولجوا من خلالها لافتة الأدب الحديث والفكر المعاصر ، والتحرر الفكري ، مع الاحتفاظ بعقائدهم الباطنية فأضافوا إلى ذلك أخلاطاً أخرى من عقائد الوثنيات المختلفة ، ومن عقائد النصارى واليهود .

ولا غرو أن يكونوا قد مزجوا بين الخرافة والضلال ، وحين نتأمل نتاج الأسماء الطائفية من الحداثيين نجد أنهم حرصوا على توظيف عقائدهم الطائفية في أسلوب دعوي دعائي واضح ، والأغرب في حومة الصراع الفكري أن نشطاء هذا الصراع هم من النصارى ، ثم من المنتسبين الطائفيين ـ إلى الإسلام زوراً وكذباً .

وقد أرادوا أن تمر هذا الظاهرة تحت شعارات خادعة مثل شعارات الحرية الثقافية والمرونة الفكرية ، والتقدمية ، والتحديث والعصرانية وغيرها من الشعارات .

وبإيجاز فالحداثة العربية لا تجحد أن من أعلامها ودعاته جملة من الباطنيين والرافضة : فمن النصيريين علي أحمد سعيد النصيري المسمي نفسه " أدونيس "

وهو اسم صنم ، وزوجته خالدة سعيد النصيرية ، ومن الرافضة عبد الوهاب البياتي ، ومظفر النواب ، ومهدي عامل ، وحسين مروة ، ومحمد علي شمس الدين ، وشوقي بزيغ ، والدرزي توفيق زياد ، وغيرهم .

القسم الثالث : حداثيون شعوبيون ، والشعوبية مذهب قديم مشتق من لفظ الشعب ، ونسبته غير قياسية إلى " الشعوب " وسموا بذلك لأنهم ينتصرون للشعوب الأخرى على قبائل العرب ، وهم جماعة من الناس لا يرون للعرب فضلاً على غيرهم وهم على قسمين :

الأول : من يرى تسوية العرب بغيرهم ، وأن لا تفاضل بين الأجناس والشعوب .

والثاني : من يذهب إلى استنقاص العرب ، والحط من قدرهم والتصغير لشأنهم .

ومن الأحزاب القومية التي اتخذت الحداثة منهجاً وأسلوبًا حزب البعث العربي الاشتراكي وكان من مؤسسيه ، ومن أبرز رجالاته جملة من النصيريين هم زكي الأرسوزي ، وصلاح جديد ، ومحمد عمران وإبراهيم ماخوس وسليمان العيسى ، وجملة أخرى من الدروز، هم شبلي العيسمي ، محمود الشوفي ، منصور الأطرش ، سليم حاطوم .

ومن أهم معالم الشعوبية ما يلي :

١ - بغض العرب ، والاستخفاف بهم والتحقير من شأنهم .

٢ - تقوم الشعوبية على جوانب فكرية وسياسية وأدبية تستهدف الكيد للعرب ومنعهم من الإزدهار .

٣- تلغي الشعوبية معيار العقيدة والدين أو تقلل من شأنها وإنكار أي دور

حضاري لهما .

٤- تستنقص الشعوبية من قدر العربية وتهون من شأنها وتلصق بها التخلف والجفاء والجمود وغيرها .

٥- محور الخطاب الشعوبي أن العرب قبائل لا تربطها رابط ، وليس لها في الحضارة نصب .

٦- الدعوة إلى إحلال العادات والأعراف الثقافية واللغوية الفارسية والرومية محل العربية .

٧- اتخاذ الشعوبية طريقاً لمضادة الإسلام ومحاربة أهله .

٨- إحياء تراث الملل والنحل للشعوب غير العربية التي كانت قبل الإسلام.

٩- تستهدف الشعوبية تشويه تاريخ العرب وتصغير شأنهم وأي دور حضاري لهم.

١٠- تحوير معنى النصوص والمفاهيم الإسلامية ، وتأويلها تأويلاً يخرجها عن مفاهيم الإسلام .

وكتابات المستغربين العلمانيين والحداثيين امتداد للفكرة الشعوبية ، والدارس لتأريخ الصراع الفكري الحديث بين الإسلام وغيره يستطيع أن يكتشف أن دعاة التغريب الأوائل كانوا ينطوون على عقيدة شعوبية تخريبية، ولا مجال لاستعراض خبايا هذا الطليعة ويكفي أنّ طه حسين شحن كتاباته بالتحامل على العرب والإسلام وخاصة كتابيه "في الشعر الجاهلي" و"مستقبل الثقافة في مصر" .

ثم توالت هذا الشعوبية ووصلت إلى الحداثيين الذين تشبعوا بعقائد الغرب فصاروا لسانه الناطق عنه ، فهم يفتخرون أنهم يعيشون التبعية للغرب فكراً

وسلوكاً وممارسة .

قال الماركسي حسين مروة : " لقد كنا في لبنان مصابين بانتشار ألوان من الأدب والفن الانحلاليين وكان معظم أدبائنا وفنانينا متأثرين بالمؤسسات الأجنبية والمدارس الفرنسية في الأدب والفن .. " .

فهذا النص اعتراف كامل بتبعية أولئك للغرب ..وهي تبعية للكتلة الشرقية من أوروبا الماركسية ، فقضية الارتماء الغربي قضية عادية مسلّم بها لكن أدونيس يبحث عن تسويغ تاريخي بفذلكة متهافتة ، تقوم على أساس فكرة الحضارة المتوسطة ، وهي أوروبا المستوردة في فكر وشعر الحداثة .

إن أصدق تعبير عن هذا التبعية ما قاله باروت عن ذوبان عصبة شعر في الغرب : " التي وجدت في النموذج الثقافي الشعر الغربي كمال التعبير عنها ، لقد هضمت نخبة " شعر " محتويات هذه الحساسية ثقافياً وروحياً وجمالياً ، وأعادت إنتاجها شعرياً " .

وهذه شهادة حقيقية على مقدار التبعية إلى شرور الحداثة الاعتقادية والسلوكية شراً آخر يتمثل في اعتناق الشعوبية ومعاداة العرب ، وملمح واضح غاية الوضوح .

وتظهر شعوبيتهم جلية في معرض هجومهم على العربية ، والدعوة إلى تدبرها ، واستبدالها بالأحرف اللاتينية أو بالعامية ، أو تغيير دلالات الألفاظ، والدعوة إلى إلغاء النحو والإعراب واللغة المعجمية للألفاظ ، أو بالعبث باللغة وألفاظها وإنعاشها على حد تعبيرهم .

فالحداثي شعوبي ، يقول الجزائري الملحد كاتب ياسين : " ترى هل أن الإسلام العربي هو جزء من شخصيتنا أم لا ؟ أنا أقول : لا .. إن كل ما يتعلق بالإسلام العربي يتطلب توضيحاً بغية الحد من الأضرار التي يلحقها بنا " .

وما قرره كاتب ياسين في كلامه تعبيراً عن رأي أساتذته من الفرنسيين وهو بذلك يقوم بإكمال الدور الاستعماري الذي أسسته قوات الاحتلال الفرنسي، وغير غريب على من ارتضع حب فرنسا وأهواءها وعقائدها أن يكون عدواً ـ بكل هذه الكمية من الحقد ـ على الإسلام والعرب واللغة العربية .

وفي المقابل نجد الحداثيين في الجزيرة العربية يشيدون ويدافعون عن مواقفه، وهذا يتضمن إقراراً ضمنياً بما يعتقده ويقوله كاتب ياسين ، وموافقة إجمالية لعدائيته للإسلام .

ومن الصنف نفسه الحداثي نبيل فارس الجزائري البربري، الذي لا يقل خبثاً وحنقاً على الإسلام من الجزائري السابق ، وكذلك الحداثي الماركسي، حكمت ناظم التركي اليهودي الأصل الشيوعي المعتقد الذي يذكر عند الحداثيين بتعظيم وإجلال تتجاوز حدود المدح والإعجاب، وبخاصة ما كتبه عنه عبد الوهاب البياتي.

وأما الذين ينتمون إلى العرب وهم في الوقت نفسه ينطوون على عقائد الشعوبية فكثيرون وغني عن الذكر أن نصارى العرب كانوا أشد الحداثيين ولوعاً بالشعوبية وانتماءً لها فهم إضافة إلى انحرافاتهم الاعتقادية الصارخة ، هم كذلك شعوبيون يعادون العرب والعربية ويرون أنفسهم مجرد متكلمين لا قيمة لها عندهم ، ولم تكن هذه العقائد مقصورة عليهم بل هي ممتدة إلى من حملوا لواء القومية العربية ودعوا إليها وناضلوا من أجلها .

مع أن المتبادر إلى الذهن أن القومي يتبنى بشكل أساسي محبة العرب واللغة العربية وينشر أمجادها ويتغنى بفضائلها ، غير أنه ثبت أن القوميين العرب وخاصة النصارى منهم كانوا أشد شعوبية وألد عداوة للعرب ولغتهم ودينهم.

وهذا السعي النصراني لفصل أمة العرب وتمزيقها وجعلها بمثابة اللقيط المنسوب إلى غير أهله ، والدّعي لا يعرف أصله ونسبه ، امتد حتى وصل إلى بعض أبناء المسلمين المتأثرين بالنصارى والمتتلمذين على أيديهم والمتشبعين بأفكارهم وعقائدهم ، فلم يقتصر الشر والضلال الاعتقادي على منشئيه ومروجيه ، بل انتشر كما أرادوا أو كما أراد لهم أشياعهم من الغربيين ، حتى شاع الداء في أبناء المسلمين ، فكان في عداوته للدين والعرب والعربية أخبث وأبشع من أساتذته .

ومن أمثلة ذلك : طه حسين ، وتوفيق الحكيم ، الذين دعوا إلى فصل مصر عن العرب وربط مصر بالفراعنة .

وفي ضوء هذه التصورات التي شكلتها أقلام النصارى العرب وغير العرب وأتباعهم من أبناء المسلمين نجد دعوات التجديد والتحديث في الأدب التي لهج بها الكثيرون في البلاد العربية قامت على أساس معادة الإسلام أولاً ثم معاداة العربية ثانياً ، باعتبار أن الإسلام والعرب ولغتهم وجهان لعملة واحدة. ولو ذهبنا نستعرض كل أوجه وأمثلة الشعوبية في الأدب العربي الحديث لطال المقام ، ويكفي أن نستدل بحركات الإحياء الوثني الفينيقي والفرعوني والمتوسطي والأشوري والسومري والنصراني على أن دعوات التجديد من أجل الهجوم على الإسلام وعلى العرب أصل الإسلام ومعدنه، وعلى اللغة العربية لغة القرآن والسنة والعلم الشرعي .

وأبرز هؤلاء وأشهرهم: الباطني علي أحمد سعيد "أدونيس " الذي وصف نفسه تحت قناع الاسم الذي اخترعه " مهيار الدمشقي " أسوة بمهيار الديلمي الفارسي الشعوبي ، ويمتلئ كتاب أدونيس " الثابت والمتحول " ، والذي هو تلمود الحداثة العربية ، يمتلئ بمعاداة العرب واللغة العربية والإسلام ، وأكد أن لا إبداع مع العروبة وتراث العرب ، لأن العرب شعب ليس حياً في

الحاضر وليس له مكان في المستقبل ، لأنه شعب محاصر بين فعلين ، يرث أو يقتبس ، ومن أمثلة شعوبيته وباطنيته أيضاً امتداحه وهيامه بالثورة الرافضية في إيران ولئن " كان مهيار الديلمي شعوبياً ، لكن كان أيضاً شاعراً ، أما مهيار الدمشقي فأمر آخر :

أفق ثورة والطغاة شتات
كيف أروي لإيران حبي
والذي في زفيري
والذي في شهيقي تعجز عن قوله الكلمات .
سأغني لكم لكي تتحول في صبواتي
نار عصف ، تطوف حول الخليج
وأقول المدى والنشيج
أرضي العربية ها رعدها يتعالى .
شعب إيران يكتب للشرق فاتحة

وإذا ألقينا إطلالة صغيرة على شعر البياتي ودرويش وقباني كنماذج حداثية معاصرة تدل على مدى تغلغل الشعوبية في فكر ونتاج الحداثيين حتى الذين يزعمون أنهم متعصبون للعروبة ومتشددون في شأن العنصر العربي واللغة العربية ، وجدنا ذلك صريحاً في قصائدهم ، فالبياتي الذي ارتمى في أحضان الشيوعية يقول ساخراً من العرب ومدنهم مدن الرماد ـ حسب تعبيره ـ مدن الشرق مزابل الشرق :

" رأيت في مزابل الشرق وفي أسواقه الملوك

والعور والأبواق والديوك "

وفي سياق آخر يصف الشرق بأنه مستنقع وذلك في قوله :

فأنا عبده عبد الأسود الأبيض " في مستنقع الشرق الكريه " .

ويجعل التخلف مرتبطاً بالإسلام المعبر عنه بالولي والأضرحة والطلاسم والنذور وحجاب المرأة وجبال النوم فيقول :

" تشرق شمس الله في عينيك إذ تغرب في قوارب
حيث فقراء الأطلس المنتظرون معجزات القمر الولي
في الأضرحة ـ الطلاسم ـ الذبائح ـ النذور
حيث النسوة المكفنات بسواد الخرق ـ الأخمار

ويهاجم البياتي رمز العروبيين وفخر القوميين لغة العرب بقوله :

" اللغة الصلعاء كانت تضع البيان والبديع
فوق رأسها باروكة
وترتدي الجناس والطباق في أروقة الملوك

أما نزار قباني ، فقد تفنن في إبراز الوجه الكالح لشعوبيته وهجائه للعرب يقول :

" أنعي لكم يا أصدقائي اللغة القديمة .
والكتب القديمة
أنعي لكم
كلامنا المثقوب كالأحذية القديمة
ومفردات القهر والهجاء والشتيمة

أنعي لكم ، أنعي لكم

نهاية الفكر الذي قاد إلى الهزيمة

ويقول نزار قباني حاقداً على الدين وخطباء الجمعة واللغة العربية كأبشع الهجوم الشعوبي:

" لو أعطي السلطة في وطني

لقلعت نهار الجمعة أسنان الخطباء

وقطعت أصابع من صبغوا بالكلمة أحذية الخلفاء

وجلدت جميع المنتفعين بدينار

وجلدت الهمزة في لغتي

وجلدت الياء

وذبحت السين وسوف

وتاء التأنيث البلهاء

والزخرف والخط الكوفي

وكل ألا عيب البلغاء

وكنست غبار فصاحتنا

وجميع قصائدنا العصماء "

ويقول :

" سقطت في الوحول كل الفصاحات

ومات الخليل والفراء :

obeikandl.com

ويقول نزار أيضاً :

إياك أن تقرأ حرفاً من كتابات العرب

فحربهم إشاعة وسيفهم خشب

وعشقهم خيانة ووعدهم كذب

وإياك أن تسمع حرفاً من خطابات العرب

فكلها نحو وصرف وأدب

ليس في معاجم الأقوام

قوم أسمهم عرب

وبعد هذا الإجمال ننتقل إلى ذكر الشواهد على التصورات المتأثرة بالوثنيات والديانات المنحرفة .

وأبدأ أولاً: بالتصورات المتأثرة بالوثنيات والأساطير المختلفة :

الحداثة في الغرب تمتد إلى اليونان بأوثق الصلات ، وقد نشأت في ظروف تخصها ، وكانت نتاج أوضاع وظروف معينة ، والحداثة العلمانية العربية ليست إلا نسخة مستعارة منقولة بالنص إلى أوضاع وظروف مغايرة تماماً للحداثة والعلمانية الغربية .

فالعلمانية والحداثة الغربية حركة إصلاح اجتماعي وعلمي تتمرد على كل تلك الظروف العصبية للتسلط الكنسي ، أما الحداثة والعلمانية في المجتمع المسلم فليست سوى نبتة غريبة في غير أرضها وكل مضامينها الاعتقادية تؤكد أنها آيلة إلى زوال .

وإذا كانت الحداثة تعد في الغرب انجازاً ثقافياً حسب الظروف والمعطيات

التي عاشها الغرب ، فإنها تعني في العالم الإسلامي كفراً وردة وتخلفاً ورجعية، فالحداثة في الغرب تستمد حياتها وروحها من وثنيات وأساطير الجاهلية اليونانية وغيرها ، لأن ذلك أساسهم المعرف وجذرهم الفكري ، فما الذي يدعو الحداثي العربي أن يتغنى بأساطير اليونان ويشيد بآلهتهم الباطلة ، ويتمذهب الشكية واللاأدرية الوثنية ؟

فالجواب الحداثة العربية ليست سوى استنتاج فكري إلى حد التقمص للحداثة الغربية مع كل ما أحاط بها وكل ما كان في أغوارها من انحرافات وضلالات وجاهليات .

وليست ثمة ما يدعو الحداثيين العرب إلى استخدام الأسطورة والوثنيات الجاهلية اليونانية أو غيرها ، إلا مجرد تقليد للغرب، وهذه هي محنة الاستعارة والتقمص التي انغمس فيها جميع الحداثيين العرب من غير استثناء .

ومن هذا يتبين لنا أسباب انجراف الحداثيين العرب في الخوض في الوثنيات الآسن ، وقد خصص أدونيس عدة فصول لدراسة اليونان وعلاقة فلسفتهم وفكرهم بالمسلمين الذين يسميهم العرب تسمية مقصودة لها ما وراءها من دلالات باطلة يرغب الوصول إليها ..

ومن أعجب الأعاجيب أن الحداثيين ينادون بالعقلانية ويدعون المنطقية، وهم مع هذه الدعوى العريضة يستسلمون لهذه الخرافات التي يؤمنون بها ويقدسونها ويجعلونها أساساً للنهضة والارتقاء .

أما أساطير العرب فإنها عندهم أساطير تشبه أساطير الغرب ، ولكنها عندهم مبتورة لأنها خرافية وبدوية وليست حضارية .

ومن هذا المنطلق استطاع الحداثيون أن يربطوا أفكارهم بالغرب برباطين :

الأول : إحياء الأساطير والأوثان التي يؤمن بها الغرب وتشكل جذور فكرة.

الثاني : صبغ هذه الأساطير بصيغة محلية لتتم عملية الربط التاريخي والحضاري .

وعلى ذلك فقد فلسف هؤلاء الأسطورة فلسفة تحاول وضعها في حق الحقيقة والتأثير فأكدوا جميعاً أن الأساطير ليست كما يعلم الناس حشداً من الخرافات ، وليست مجرد أوهام من عالم الفوضى ، بل هي لغة أخرى .

ثم جاء المنهج الأسطوري في منحاة التاريخي ليضفي على الأسطورة مكانة ويجعل لها شرعية.

وقد استخدم الشاعر الحداثي هذه الأسطورة وفق دلالات ثلاث :

١- التعبير عن القلق الروحي والمادي باستغلال رمز عولس ، والسند باد وأروفيوس ...

٢- التعبير عن البعث والتجدد، ومن الرموز الصالحة لذلك تموز أو أدو نيس ولعازر والمسيح .

٣- التعبير عن العذاب والآلام التي يواجهها الإنسان المعاصر ، وهنا تعود رموز المسيح وبرميشوس..

والسياب من أشد الحداثيين استخداماً للرمز لوضعه النفسي والجسمي .

وإذا انتقلنا إلى الدراسة النقدية والتنظيرية وجدنا بحراً من الرموز والأساطير والوثنيات الجاهلية من شتى العصور ومن مختلف الأمم ، ويكفي في رواج هذه الظاهرة أن تلامذة وأتباع الخال قد قرؤوا واتبعوا ما قرره في موازين التقدم والتخلف ..

يقول السياب عن عشتار :

(عشتار ، أم الخصب ، والحب والإحسان ، تلك الربة الوالهة)

وينادي تموز بوصفه الربوبية قائلاً: يا رب ، تمثالك ، فلتسق كل العراق

فلتسق فلاحيك عمالك .

وفي موضع آخر يصف تموز بالإلوهية قائلا:

(ليعو سر بروس في الدروب

وينبش الترب عن إلهنا الدفين

تموزنا الطعين ..

إلهنا الفتي ، لو يبرعم الحقول ..

وبنظرة سريعة في ديوان السياب يمكن أن يتوصل القارئ إلى أن السياب كان يكتب بأحرف وكلمات عربية أفكاراً وعقائد يونانية وفينيقية وأساطير ووثنيات من الإغريق حتى الصين ، وقد حشر الأسماء الوثنية في سياق قصائده حشراً ، يدل على مقدار ما بلغ به محاولة إثبات العالمية والتواصل مع الغرب لنيل الشرف من الغربيين وعملائهم في المنطقة .

أما نازك الملائكة فقد فعلت فعل السياب، ولكن من غير إغراق ولا مبالغة، بيد أن المضامين الاعتقادية للرموز الوثنية واضحة في شعرها .

أما الشيوعي العراقي وأحد ناقلي ومروجي الحداثة في بلاد العرب " عبد الوهاب البياتي "فإنه مثل السياب في إغراقه ومبالغته وإكثاره من ذكر الآلهة الوثنية مع الإيمان بها وإجلالها ونسبة الإحياء والبعث والنهضة والتقدم إليها.

يقول البياتي في وصف غرامه الصوفي الوثني عشتار:

من ترى ذاق فجاعت روحه حلو النبيذ

وروابي القارة الخضراء والمطاط والعاج وطعم الزنجبيل

وعبير الورد في نار الأصيل

ورأى الله بعينيه ، ولم يملك على الرؤيا دليل

فأنا في النوم واليقظة من هذا وذاك

ذقت لما هبطت عشتار في الأرض ملاك

وله قصائد متعددة عن معبودته عشتار ، فهو ينحني بخضوع وذلة أمام الرموز الوثنية وقد أخذت عشتار النصيب الأوفر من عقيدته في الأوثان ونافست غيرها ..

وممن كثر عنده استخدام الرموز والأوثان محمود درويش ، وعبد العزيز المقالح ولم يقتصر هذا الوباء على المذكورين ، بل للآخرين أيضاً استعاراتهم الوثنية واستعمالاتهم الأسطورية وتشبعهم بمضامين هذه الوثنيات. من مثل: توفيق صائغ ، وأمل دنقل ، ومعين بسيسو ، ونزار قباني ، والماركسي سميح القاسم ، وتوفيق زياد ، والفيتو ري، وأحمد دحبور،وغالي شكري ، وغيرهم.

وهاهنا لابد من خاتمة تبين قضية تأثر وانغماس الحداثيين في الوثنيات وفي الأساطير وهي : أثر من آثار اعتناقهم للأسطورة وارتوائهم من آبارها ، مع وجود أرضية شاكة في الدين أو جاحدة له ، عمدوا إلى الحقائق الثابتة في الوحي المعصوم في القرآن الكريم وصحيح السُّنَّة فجعلوها من الأساطير ، أومن الفلكلور الشعبي .

ثم أدخلوا هذه في نتائجهم ليثبتوا أنهم" محليون " وليسوا صناعة خارجية جاؤوا بهذا التكذيب لحقائق القرآن والحديث الثابت ، ليكون هذا التكذيب دليلاً آخر على تبعيتهم وانفصالهم عن الأمة عقيدة انتماء ، بل ومعاداتهم للأمة في أعز وأغلى مقوماتها : في دينها وعقيدتها .

والأغرب في هذا الميدان أنهم عمدوا إلى الأكاذيب والخرافات فعدوها حقائق وبنوا عليها أحكاماً مثل قصة الغرانيق التي اتكأ عليها "عزيز العظمة "

في هجومه على القرآن والإسلام .

ثانياً التصورات المتأثرة باليهودية :

كان اليهود ومازالوا أساساً في الفتن والبلاء في الانحرافات والضلالات وقد وصفهم الله بأنهم يسعون في الأرض فساداً ، وذكر طبائع اليهود وصفاتهم وآثارهم في الإفساد قديماً وحديثاً مما يطول ولا يتسع له هذا المقام ، فاليهود يرون أنفسهم الشعب المختار، وأبناء الله وأحباءه ، ويرون الأعراق والشعوب الأخرى " جويم " أو " أميين " ليس عليهم - في اعتقادهم- حرج أن يفعلوا بهم ما شاؤوا .

والمتتبع لنتاج الأدب العربي الحديث يجد أنه لم يخل من التأثر بالديانة اليهودية المحرفة ، ولعل الأيام الآتية بعد تطبيع العلاقات مع اليهود ستشهد من شعراء الحداثة ومفكري وكتاب العلمانية من يبتهج باليهود وعقائدهم .

ومع وجود الدواعي السياسية للبعد عن اليهود في الفترة الماضية نجد أن أدباء الحداثة لم يسلموا من تأثير الرموز والمصطلحات اليهودية في نتاجهم .

أما المفاهيم والمذاهب والأفكار والفلسفات التي ابتدعها اليهود لتخريب البشرية أو التي وجدوها صالحة لهذا المقصد فاستخدموها فكثيرة ، ولا يكاد يسلم من التأثر بها حداثي .

وإذا ذهبنا نتتبع الرموز اليهودية التي اشتمل عليها كلامهم فإننا نجد الكثير، ومن ذلك إقرارهم في إيحائية يهودية بالهيكل الذي يدعي اليهود وجوده في القدس في دلالة واضحة على تناغمه مع هذه الدعوى يقول العميل توفيق صائغ :

وأنا هيكل غاب عنه القدس

فكنت القدس

قدساً وأشتهيك ..

فالصائغ منذ يفاعته ارتبط بالعقائد اليهودية ، فله نشاط أدبي ودراسة عن التوراة وهو في العشرينات من عمره .

وفي دراسته للتوراة والأدب العبراني يكتشف الصائغ اكتشافاً ساقطاً لا حقيقة له يقول فيه : " ومما يلاحظ أن كل أنبياء إسرائيل كانوا شعراء " .

وهذا أدونيس يستخدم عبارات ومصطلحات يهودية ويستخدمها في إجلال مثلاً :

" مزامير الإله الضائع "

وفي مقطوعة " ارم ذات العماد " يسمى المقطع الأول " مزمور "

ونحوه في مقطوعة " الزمان الصغير " وفي بعض كلامه يعبر عن إعلانه الحداثي التدميري بقوله :

" أعلن طوفان الرفض

أعلن سفر تكوينه ..

ويستخدم أسماء يهودية وردت في التوراة مثل " أليعازر " .

وهذه نازك الملائكة تكشف عن تأثيرها العميق باليهود وكتابهم "التوراة" حيث قالت : " هدية إلى قائمة الأسماء الغامضة المنطفئة التي جاءت في " سفر التكوين " من كتاب العهد القديم " .

وهاهو البياتي يستخدم" سفر الخروج يبحث فيه عن المعنى" عن المخرج والطريق والدرب ويقول :

"لسيدي أكتب ما أراه في خارطة التكوين .

وكتب المستقبل الساكن في الماضي ،

وسفر العودة ـ الخروج " .

أما المقالح فإنه لا ينسى أن يضيف إلى أمجاده الحداثية إضافة الأسماء والرموز اليهودية ليثبت قدرته الفنية وثقافته العالمية ! فيقول :

" وسالومي" تفني في ملاهي القدس

تنشر لحمها في المسجد الأقصى

وتطلب كل رأس راكع فيه

لترفع عالياً من حائط المبكى . "

وله مقطوعة بعنوان "يهوذا " مقدمة بسطر لأرسطو يقول فيه :

" يا أصدقائي ليس هناك أصدقاء "

ثالثاً : التصورات المتأثرة بالنصرانية :

يتشكل أدب" الحداثة " في أظهر صوره وأشكاله من ثلاثة ملامح أساسية: الوثنية ، والمادية الإلحادية ،و النصرانية .

وقد تشكلت هذه الصورة القائمة على يد نصارى العرب من المهجرين ، ثم من الإعلاميين ثم من الحداثيين

وعلى أية حال قد فرض النصارى ألفاظهم ورموزهم ومصطلحات دينهم على ساحة الأدب الحديث بصورة قوية وواضحة .

وبمراجعة سريعة لمضامين الفكر في الرابطة القلمية أو الحزب القومي الاجتماعي أو في حركة " مجلة شعر" يكتشف الباحث المضامين النصرانية الواضحة ، حتى ليخال أن هذه مؤسسات تبشير بالدين النصراني ليس إلا .

ونلاحظ بجلاء سيطرة النصارى والطائفيين على حركة شعر بالطرح الفكري القائم على محاربة الدين الإسلامي .

لقد وصف الباطني أدونيس ما يوجد لدى" مجلة شعر "من اتجاه غيبي يسميه الحساسية الميتافيزيقية .

بيد أنه ينبغي في هذا المقام الإشارة إلى أمرين مهمين :

الأول: أن الحداثيين النصارى، لم يتخلوا عن نصرانيتهم فالحداثة وسيلة لنشر عقائدهم .

الثاني : أن الحداثيين غير النصارى ، تقبلوا هذه المضامين والرموز ونقلوها وروجوها .

والخلاصة :

أن الحداثة مضموناً وفكراً واتجاهاً ، تناقض الإيمان بالله والتوحيد والطاعة والخير والحق ، وأشخاصها الذين يتبنوها ويشايعونها هم أشد على الرحمن عتيا، سوءا كانوا نصارى أو نصيريين ، أومن أبناء المسلمين الذين اتبعوا سنن أهل الكتاب وأهل الأوثان .

ولا غرابة أن الحداثي من النصارى العرب يتحدث عن تراث دينه وعقيدته كالخطيئة والمسيح والخلاص والصلب والإثم والفداء في سياق دلالي رمزي لمعاني مجازية بيد أن الكارثة المميتة أن نجد ألفاظاً ومصطلحات العقيدة النصرانية ومضامينها في ألسنة وأعمال أبناء المسلمين ، وكأنهم خدم صغار في أروقة الكنيسة .

ولذا يزعم الحداثيون بأن حداثتهم شمولية غير مقيدة ، وأن جميع الديانات السماوية جزءاً من التراث الروحي للبشرية جمعاء .

بيد أننا نجد الهيمنة الفكرية لمضامين ورموز عقائد النصارى المحرفة، بل سخروا الأدب الحديث لغرس المفاهيم والألفاظ النصرانية وتطبيع استعمالها.

ولنورد من الشواهد ما يؤكد أن نصارى الحداثة لم يبخلوا عن نصرانيتهم هنا :

١- يوسف الخال :

الشاعر الحداثي الذي دعا إلى الانفتاح والثقافة العالمية والتواصل الثقافي وتجاوز السائد وكان انفتاح النصراني على إخوانه النصارى في الغرب ، على قاعدة العودة إلى الأصل ، وهو بكل ذلك لم يغلق صفحة الماضي الصليبي ، بل جدد ذلك ، وحمل ألوية حرب صليبية ثقافية .

وهو القائل صراحة وبدون أدنى مواربة : "... إنني شاعر مسيحي ، المسيحية جزء من تراثي ، إن لم تكن في جوهره وصميمه ، والمسيحية مرتبطة ارتباطاً كياناً عميقاً ... "

وهذا النص شهادة واضحة على اعتزاز الخال بنصرانيته وسعيه في نشرها .. وهكذا تتضافر جهود المنصرين الحداثيين لإزاغة المسلمين عن دينهم ، وإبعادهم عن عقيدتهم ، ترى ماذا سيقول الحداثيون من أبناء المسلمين الذين جروا خلف السراب الحداثي ،ويحمل الخال حقداً دفيناً على الإسلام ويضعه في دائرة الشك والريبة ويخرجه من دائرة الحقيقة تماماً ، ويقارن بين الإسلام والنصرانية بخلفية استشراقية كنسية حاقدة ويجعل من حسن حظ النصرانية أن جوهرها المسيح عليه السلام ، ومن سوء حظ الإسلام أن جوهره القرآن ، وليس من مهام هذا المبحث التصدي لهذه الأغاليط والأكاذيب .

وهؤلاء الحداثيون والعلمانيون ينادون بالتعددية الفكرية ضمن إطار الحضارة الأوروبية المادية والفكر الأوروبي والعقيدة الغربية .

ونلاحظ في سياق الحديث والشعر والحياة لـ"يوسف الخال " أن يكتب ويفكر ويقول بعقل ولسان ويد النصراني المعتز بعقيدته ، ولذا قال عن حركة شعر: " إن عملية مجلة شعر كانت عملية تبشيرية رسولية أكثر من أي شيء آخر .. "

وباختصار نلمس التعصب النصراني في أقوال " يوسف الخال " تعصباً جعله ، يغالط الحقائق ، وينسب الفضل إلى غير أهله ، وينزع الفضل والمجد عن أهله وذويه .

عصبية نصرانية تتخذ من الأدب الحديث رداءً لها ، ومن التجديد الفكري والثقافي جنة لتبث عقائد المغضوب عليهم والضالين ، وتسعى في تخريب عقائد أبناء المسلمين وسحبهم من النور إلى غياهب الظلمات .

فقلد غص ديوان "يوسف الخال " بالمضامين النصرانية، وفاض بعبارات الخلاص والخطيئة والتثليث والتكفير والصلب والصليب وبأسماء نصرانية مأخوذة من الإنجيل المحرف .

وقد قال فيه النصراني " غالي شكري: " هذا شاعر مسيحي استطاع أن يجعل من أيديولوجيته شعراً " .

٢- توفيق الصائغ :

نصراني فلسطيني تنقل بين أمريكا وبيروت ، واتخذ الحداثة سلماً لعقائده وأفكاره ، ولد وتربى في أسرة نصرانية متدينة لها علاقة وطيدة بالأمريكان من وقت قديم ، ولها صلة بالمبشرين الأمريكان .

وأمه تربت على يد المنصرة الأمريكية "س فورد " ؛ درس في الكلية العربية في القدس ، وتخرج فيها ، وهي الكلية التي أنشأها الانتداب البريطاني ، ومن تلامذتها نقولا زيادة ، ومعروف الرصافي ، وغيرهم ، ثم درس في الكلية

الأسقفية ، ثم عاد إلى القدس يدرس الأدب العربي .

فالصايغ يرتبط بالغرب ويدافع عن الاستعمار ، ويصف الحكم الإسلامي بالاستعمار ، وقد تربى منذ نعومة أظفاره على الإنجيل " وله في ذلك كتابات ، وله مقطع مليء بالمضامين والأفكار والعقائد النصرانية بعنوان " أربع أغنيات لا حب " ويختم المقطع بخطاب لله تعالى يصفه بأنه استراح يوم السبت كما تقول الخرافة اليهودية . تعالى الله عما يقولون علوًا عظيماً .

٣- جبرا إبراهيم جبرا:

نصراني من فلسطين ، تربى في الكنيسة منذ صغره ودرس في مدرسة الروم الأرثوذوكسيين ، ثم في مدرسة السريان الكاثوليك وعاش أجواء الكنيسة وألحانها وتراتيلها السريانية وغيرها ، وتقلب بين أيدي الكهنة الشمامسة ، ودرج على ذكر الصليب وأحزانه المريرة ، ورؤية تمثال المسيح .. استمع وصايا الرهبان وتعلم على أيديهم ، درس في مدارس الغرب ، ورجع إلى بلاد المسلمين يبشر بالأفكار والمذاهب والمناهج ، وفي الجملة فإن ديوانه الذي لا يتجاوز(٢٦٠) صفحة ينضح بالعقيدة النصرانية والرموز النصرانية .

هذه ثلاثة نماذج من أسماء النصارى العرب الحداثيين الذين طالت جعجعاتهم حول نبذ القديم وتجاوز المألوف، ولكنهم ما أرادوا بذلك الإسلام، أما دينهم فلم يبارحوه بل خدموه ونصروه وآزروه .

والحداثيون من أبناء المسلمين وصلوا إلى درجة من الاستجابة لدعوات التنصير والتكفير والإلحاد وإلا فكيف نفسر أن واحداً من أبناء المسلمين الذين تقوم عقيدتهم على توحيد الله ، ونفي صلب عيسى عليه السلام ، وتجعل الذنب والتوبة عنه من مسؤولية صاحبه ، ولا تقول مطلقاً يتوارث الذنب ثم يأتي بعد ذلك من يقول بالتثليث وصلب المسيح والخطيئة المتوارثة والتكفير

بالنيابة ؟!.

ومن أول هؤلاء الطائفيين النصيريين " أدو نيس " الذي حمل لواء الحداثة مع ارتكاس في الوثنية والباطنية ، ومن الطائفيين الدروز الفلسطيني توفيق زياد ، وهو وإن كان مجنوناً بالشيوعية إلا أنه لم ينس أن يحشد مع ضلالته الكثيرة جملة من الرموز النصرانية ومنهم البياتي الذي قام بالشيوعية وتغنى بالإلحاد ، بيد أن شعره مليء بالرموز والعبارات النصرانية .

أما إذا ذهبنا إلى ديوان السياب وجدنا الأمثلة على تأثره بالنصارى واضحة للعيان ، ومنهم صلاح عبد الصبور الذي استخدم تراث الصوفيين وتراث الكتب المقدسة ، وبالتحديد لغة التوراة والإنجيل .

وأما محمود درويش فقد حشد من الرموز والمعاني والأفكار النصرانية الشيء الكثير ومن أول إهداء في ديوانه يقول : " من أي غاب جئتني .. يأ كل صلبان الغضب" وكأنه نصراني يتحدث عن مأساته .

ويبرز من أرض اليمن ـ أرض الإيمان والحكمة ـ للأسف ـ عبد العزيز المقالح ليخوض في مستنقعات الصليبية ، كما خاض في مستنقعات أخرى ، وليجمع مع شروره شراً لاحقاً يتمثل في استعمال الرموز الصليبية والأسماء والعقائد والمضامين النصرانية فمن ذلك قوله في مقطوعة بعنوان "عصر يهوذا":

"وكان يهوذا هناك

يقبل رأس المسيح

ويشرب نخب الإله

وفي كل رشفة كأس يصلي

يناجي .. يصيح

يعيش الإله

يعيش الرسول ، وشعب الرسول الذبيح

ويقرأ مستغرقاً في خشوع

حكايات من صُلبوا في الطريق ..

ويرقد فوق الصليب الرسول

وخلف السجون يعاين ،يموت الإله".

ويقول في مدح درويش :

لو لم يمت على صليبه المسيح

لو لم تزين هامة البطل

أيقونة العليق

ما عرفت روما قداسة الحريق

ولا مشينا خلفه حين رحل

ويقول في مخاطبة سميح القاسم ويناجيه بالرموز النصرانية فيقول :

" مكانك

قف صامداً يا سميح

ولو حملوك الصليب

ولو طلبوا منك تمشى على الشوك

أن تصعد الجلجلة

ومنك أعادوا عذاب المسيح

obeikandl.com

ويقول في رثاء الزبيري :

ليضحك الكهف من الأعماق

لتقرع الكنائس البعيدة الأجراس

ويصف نفسه قائلاً :

" حملت الصليب على كاهل مثقل بالندم " .

هذه نماذج مختلفة لأشخاص مختلفين من بلاد عربية مختلفة ، اجتمعوا في مذهب الحداثة مقلدين للأوروبيين وسائرين على خطاهم ، في المادية مرة وفي النصرانية أخرى غير آبهين بما يقتضيه هذا وذاك من تناقض وتباين ، فقد قنعوا بالمحاكاة التي يأملون أن يجنوا من خلفها احترام وتقدير أساتذتهم وتلامذة أساتذتهم .

رابعاً : التصورات المتأثرة بالفرق المنتسبة إلى الإسلام :

ولقد ذهب الحداثيون يفتشون عن أشباههم من المنحرفين والزنادقة والشاكين والمبتدعين ، وتركوا أهل العلم والإيمان بل سخروا منهم .

وأظهروا الاتجاهات الاعتقادية الضالة التي أخذوا عنها وأشادوا بها وامتدحوها هي :

١- الباطنية : ترسخت المفاهيم الباطنية في الشعر العربي الحديث من خلال الأشخاص الذين ينتمون إلى هذا الاتجاه ، وأشهرهم الباطني أدونيس وزوجته خالدة سعيد ، اللذان كان لهما الأثر الكبير في نشر الحداثة والدعاية لها وهما من الطائفة النصيرية وسميح القاسم وهو من الطائفة الدرزية .

ولا أدل على ذلك من أقوال أدونيس التنظيرية التي وجه بها عقول الذين لا يفقهون إلى سراديب الظلام الباطني ، تحت حجج العرفانية والأحلام

والسريالية والإيحاء والعقل الباطن والعمق والتداعي ، وغير ذلك من ألفاظ التدليس والمخادعة .

٢-الصوفية : اهتم منظرو الحداثة بالصوفية الفلسفية، وبما تتضمنه من عقائد ضالة ، وخاصة وحدة الوجود والاتحاد والكشف ، وأبرز من اهتم بالصوفية وضلالاتها الباطني أدونيس وقد ركز على الجانب الباطني عند الصوفية واتخذ منه ـ مثلما اتخذ من الباطنية ـ منطلقات لأفكاره وعقائد الباطنية الحداثية ، وسلك معه آخرون في هذا المسلك ،وبما أن الكلام على الصوفية ، فإنا لا نطيل الكلام هنا لكفاية ما سبق .

وقد خصص البياتي في ديوانه مقطعاً للحلاج سماه" عذاب الحلاج" قال عنه :

" لم تشهدي الحلاج بعد الصلب وهو في قميص الدم

متوجاً بالشمس

ووهج القمة في الأصوات

وله مقطع طويل بعنوان" عين الشمس أو تحولات محيي الدين بن عربي في ترجمان الأشواق " ، قال فيه :

توحد الواحد في الكل

والظل في الظل

ثم ترجم لابن عربي ترجمة مولع محب معجب :

أما صلاح عبد الصبور ، فقد أصبحت مسرحيته التي سماها " الحلاج " من أكبر دلالات التأثر بالصوفية والدفاع عنها وعن مذاهبها المنحرفة ، فهو يمجد أفكار الحلاج والنور الباطن عند الصوفية ، وأن الشر هو فقر الفقراء وجوع الجوعى ، مصوراً أن الحلاج يقف مواقف نضالية في صف الكادحين ، وأنه

اكتشف بعد لفت النظر هذا أن الحلاج كان صاحب فكر اجتماعي ، وصاحب عقيدة متحررة.

أما نزار قباني فإنه يضع مجاذيب الصوفية رمزاً للدين وله قصيدة بعنوان " تجليات صوفية" يقول :

" إلى متى أظل أخترعك ، كما يخترع الصوفي ربه "

٣- الخوارج والمعتزلة :وهي عادة الحداثيين يعمدون إلى الفرق الضالة فيجعلونهم نماذج للتحرر والإبداع ويتركون الحق الصراح ، ويصفونه بالتخلف والتقليد وعدم العقلانية . وقد اهتم أدونيس وزمرته بالتراث الاعتزالي ، وجعلوه منطلقاً لهم لهدم الاتجاه السلفي الذي نشأ في العصر الحاضر بعد قيام الدعوات والحركات الإسلامية المنادية بمبدأ " الإسلام دين ودولة ".

وكلام الحداثيين يطول في امتداح المعتزلة والخوارج وليس من طائل في تتبع شواهدهم .

٤- الفلاسفة : أخذ الحداثيون من الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام ، وأشادوا كثيراً بابن رشد الذي يرى أدونيس أنه هو الذي أسس العقل وقلص الدين ، ويرى أنه أحد جذور الحداثة في التراث العربي .

أما فلاسفة الباطنية والصوفية فقد سبق الحديث عنهم ، وكذلك أخذهم عن المعتزلة ولهم طامات أما ابن رشد وإن استفادوا من بعض مقولاته فإن السبب الأساسي لاهتمامهم به أن أساتذتهم الغربيين اهتموا به ودرسوه، فأخذ أتباعهم هذا الاهتمام ، لكنهم لا يتبعونه لدينه وإيمانه بالرسالة والوحي .

ومن الشخصيات الفسلفية التي دندنوا حولها أحمد بن يعقوب مسكويه ، وأبو حيان التوحيدي الصوفي صاحب التصانيف الأدبية والفلسفية .

٥- الشعوبية : وقد سبق الحديث عنها مفصلاً في ذلك .

٦- الزنادقة : وهؤلاء محل اعتناء شديد من قبل أهل الأدب العربي المعاصر فمن الشخصيات التي اهتم أدونيس بها وبكلامها أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الملحد ، فقد شرح أدونيس إلحاديا ته وأشاد به باعتباره أساساً للحرية الفكرية ، ومنبعاً للحداثة في التراث في الوقت نفسه كان الرازي شيعياً باطنياً، شأنه في ذلك شأن أدونيس ومن الشخصيات التي أثنى عليها أدو نيس ، الزنديق ابن الرواندي ، وكذلك أبو العلاء المعري ، وبعض شعره الشكي وبعض أقاويله ، واهتموا برسالة الغفران على وجه الخصوص ،علماً بأن حوله كلاماً طويلاً بين من يقدحه ومن يبرئه ويمدحه .

ومن الشخصيات التي اهتموا بها وحولها كلام طويل بين قادح ومادح عمر الخيام له رباعية نظمها بالفارسية وعربت وهي مليئة بالشكوك .

وكذلك يشيدون بعبد الله بن المقفع ويندبون مقتله ويعتبرون ذلك جريمة في حق الفكر والحرية وقد قتله والي البصرة سنة١٤٢هـ بسبب أنه اتهم بالزندقة.

وكذلك من الشخصيات المعروفة بالزندقة ميمون القداح أحد مؤسسي الفرقة الإسماعيلية وقد وضع في مدحه شاب يمني حداثي يدعى إسماعيل الوريث كلاماً بعنوان : " من هموم ميمون القداح " قال فيه في مجلة اقرأ ومجلة الناقد :

" يا ريحاً صارخة في أكواخ القش

مضى زمن مغلقة فيه المدن العباسية

هذا زمن الدعوة تحتضن البسطاء

نزلت الليلة في قلب مدينة من أهواه ... "

قال عبد الله الزيد الحداثي يمدح الوريث اليماني : " من هذه الدوائر الشاعر الشاب إسماعيل الوريث يحاول من خلال الشخصيات التاريخية ـ ميمون القداح ـ أن يكتب ظلالاً من المواقف الشجاعة ..

هذا هو أخذهم من التراث ،وهذه هي استفادتهم منه ، يتقلبون بين الباطنية والصوفية الاتحادية والزنادقة والفلاسفة والفرق الضالة من الشيعة والخوارج والمعتزلة .

وهذا ما يؤكد أن الحداثة تستهدف بصورة مقصودة حرب هذا الدين القويم وهدم أسسه ومبانيه ، وجحد فضائله ومحاسنه ، وإشاعة ما ظنه المارقون والشاكون عيوباً ومثالب .

إلى جانب ذلك ما تركوا عفناً عقدياً إلا ارتادوه وأقبلوا إليه يأخذون منه .

obeikandl.com